2026 كانون 2 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 12
January 2026 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 12
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

تمثّلات البطل في رواية ملوك الرمال بين الأسطرة والانكسار

الباحث:ميس هيبت حميد
جامعة كربلاء /كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم اللغة العربية
Mays. h@ gmaail.com

الملخص:

رواية "ملوك الرمال" للروائي العراقي علي بدر عمل يركز على الصراع بين الجنود النظاميين والبدو في الصحراء، في هذه الرواية تتجلى أنماطٌ متعددةٌ للبطل، حيث نجد الجندي البطل التقليدي الذي يواجه تحديات جسدية ونفسية، كما نجد البدوي وهو البطل المقاوم جساس ، الذي يتحدى السلطة ويعيش وفق قوانين الصحراء والأحكام البدوية والبطل الزائف المتمثل بشخصية النقيب ،تبرز في هذه الرواية تأثيرات الصحراء على الشخصيات، فالبيئة عنصر مؤثرً في تشكيل صور البطولة و هوية الأبطال .

كلمات مفتاحية : البطل ، رواية ملوك الرمال

Representations of the Hero in the Novel "Kings of the Sands": Between Myth and Fracture

Researcher: Mays Hebat Hamid
University of Karbala / College of Education for Humanities / Department of Arabic Language

Summary

The novel "Kings of the Sands" by the Iraqi novelist Ali Bader is a work that focuses on the conflict between regular soldiers and Bedouins in the desert. In this novel, multiple types of heroes are revealed, as we find the traditional hero soldier who faces physical and psychological challenges, as well as the Bedouin, who is the resistant hero Jassas, who challenges authority and lives according to the laws of the desert and Bedouin rulings, and the false hero represented by the character of the captain. The effects of the desert on the characters are prominent in this novel, as the environment is an influential element in shaping the images of heroism and the identity of the heroes.

Keywords: Hero, Novel "Kings of the Sands"

البطل عند ابن منظور الشجاع"رجل بطل بيّن البطالة والبطولة: شجاع تَبطُل جِرَاحته فَلا يكترث لَها وَلَا تَبطُل نَجَادته.. ،وقِيلَ: سمِّيَ بَطَلاً لأن الأشداءِ يَبْطلُون عِنْدَهُ"1(ابن منظور ،1444هـ ،56)،ومفهوم البطولة له حضورٌ في جانب الشعر والنثر ،فقد نالت شخصية البطل اهتماما ملحوظا في الرواية والأبحاث المعاصرة وخضعت لوجهات نظر نقدية متعددة مستمدة جذورها من المخزون الفكري للكاتب ،وتضافرت مع مؤثرات خارجية متمثلة في الزمان والمكان 2(ينظر، أحمد ،2023، 223)وتعددت المفاهيم الاصطلاحية واختلفت من كاتب لآخر ويمكن القول إن البطل ذلك الشخص الذي يلعب دورا رئيساً في القصة أو المسرحية،وتنطوي نفسه على صفات وقوى يتعاطف معها القراء أو النظارة دون غيره من الشخصيات، وقد يكون صراع الرواية أو المسرحية بين هذه الشخصية وشخصية أخرى تتسم بصفات ينفر منها القراء والنظارة ،و يدور الصراع داخل نفس البطل أو يدور بينه وبين الأقدار كما هو الحال في المأساة اليونانية 3(ينظر:وهبة ،المهندس، 78،1984)،ويمكن للبطل أن يكون هو السارد كما يمكن لهذا الأخير إن يكون هو الكاتب 4(ينظر:علوش،1985، 50)،والأصل في البطل الروائي أنه شخص من طبقة عامة الشعب أو البرجوازيين ويتسلق درجات المجتمع يحاول أن يبلغ درجة النبلاء مثل

العظماء فقد يصل إلى مكانتهم،وقد يتجاوزها إلى أبعد حد ،فيكون شخصية تصل في أبعادها إلى حد الأسطورة ونجد مثل ذلك في أبطال الأعمال الروائية على غرار هاملت دون كيشوت5(ينظر:انطونيوس، 1986، 81-82)،والبطل على رأي لوكاتش مثل الإنسان في الواقع يتحرك بمهماز الحاجة الملحة والثابتة بما يطابق الواقع الخارجي من حاجات واعية خالدة تدفعه لأن يفعل باستمرار دون كلل لبلوغ ما يكون أقرب إلى الحياة الواقعية ،وليس ثمة أجماع على مواصفات شخصية البطل أو المثال6(ينظر:مقيديش ،2017، 95)،فهو" ليس شخصيةً فذةً"7(فضل ،1995، 115)،تجتمع فيها أنبل الصفات فقط، فقد تحمل صفات الوصولية حتى ولو كان نبيلا من الطبقة الارستقراطية ،ومن هنا يدخل الروائي ليضفي على البطل هالةً خياليةً ؛لأن البطلَ في النهاية صنعةٌ روائيةٌ 8(ينظر:مقيديش،2017 ،9)

للبطل صورتان, بطل يظهر في الرواية بوصفه بطلا حق البطولة كما نراه في الملاحم وقصص الفروسية ،ويعبر عن اتجاه ايجابي ينتصر على ما يعترض طريقة ،وبطل لا نقصد منه سوى الشخصية التي يعني الكاتب بها عنايةً كبيرةً ملقيا عليها الضوء والحركةَ؛ لنقل سلوك معين أراد الكاتب من خلال تصويره على نحو ما أن يعبر عن وعي وأصداء نفسية عميقة9(ينظر:فضل ،1995 ،115)، أما في العصر الحديث فقد اختلفت شخصية البطل في الرواية ،فلم تعد الرواية أداة لتفسير العالم وفهمه وربما تغييره، بل أصبحت وسيلةَ تعبير وشاهداً على ما جرى ويجري من تفكيك واضطراب واهتزاز للثوابت والأيدلوجيات والأبنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية10(ينظر:الماضي،2008، 208).

أما عن البطولة البشرية في رواية ملوك الظلام ،فهي بطولةٌ يمكن القول عنها إنها بطولةٌ غير مكتملة ،فمعروف في الأدب العربي أن صورة البطل التقليدية هي صورة صفاتها واضحة ، ومن هذه الصفات الشجاعة والإقدام ؛فالبطولة غير مكتملة وفق هذا المفهوم ؛لان علي بدر يرسم ملامح البطولة في شخصياته ثم يدحضها ،و سيتوقف البحث عند بعض الشخصيات بوصفها مشاريعَ لبطل مكتمل ونلاحظ كيف قدمها الروائي،ونبحث عن الأسباب التي جعلت هذه البطولة غير مكتملة وفقا لأحداث الرواية، ولنستنتج مَن هو البطل الحقيقي في هذه الرواية .

أولا: البطل الوجودي: جساس

هو أحد أفراد بني جدلة أحدى قبائل الصحراء في غرب العراق قام بعملية اغتيال لمجموعة من الضباط أثناء قيامهم بجولة لتقصي الوضع في الصحراء ،قبل حرب الخليج ، والملفت أن جساس هذا لا يظهر كشخصية بأبعاد مادية في الجزء الأول من الرواية بل تظهر أفعاله البطولية فقط ،وهي أفعال هادفة بشكل اساسي إلى المقاومة ،وفرض قوانين القبيلة على الدولة، فلجأ أحيانا للقتل وأحيانا للرعب؛ ليثير مشاعر سلبية في نفوس الخصم وهم الجيش الذين جاؤوا للصحراء حتى يلقوا القبض عليه،و عمد علي بدر على إحاطة هذه الشخصية بهالة من الغموض، وفي رحلة الجيش للبحث عن جساس واجهتهم عددٌ من المصاعب ،وكان جساس والبدو عموما يتفاخرون بالقدرة على توظيف الصحراء لخدمتهم ،وهذا ما أشار إليه منور الدليل الذي اصطحبه الجيش معهم في الغارة 00 11(ينظر:بدر،2011، 97) ،وكان جساس يتحرك في ميدانه ،وهو بذلك يختلف في طريقة التعامل و المواجهات عن طريقة الجيش في المنارات والقتال ، فهو ابن الصحراء، وهو متمكن من أرضه عارف بأسرارها12(ينظر:بدر 97، 2011)، وقد حاول الجيش التغلب على جساس عن طريق تطبيق استراتيجيات وخطط عسكرية في الصحراء، ومنها خطة مسك الأرض، ولكنها فشلت كأن مفتاح الصحراء بيد هذا البدوي وحده ،وراح ضحية هذه الخطط الفاشلة عنصران من عناصر الجيش وهما (المخبر وأحد الجنود) فقد قتلا ومُثل في جثتيهما13(ينظر:بدر،2011، 97)، فأخذ الراوي وهو أحد الجنود يتساءل عن شخصية جساس" فهو يراه بطلا ؛لأنه يمسك طرف الأحداث ويحركها ويوجهها فيتساءل مع اعتراف ضمني ببطولة جساس ؛لأن جساس بدهائه استطاع التغلب على قوة عسكرية مسلحة فيقول :" من هو هذا البدوي الذي يمسك خيط الحكاية ويجعلنا نمر بفضل فطنته وحكمته أمام غموض الصور، فهذا المشهد الذي نعيشه الآن كان قد مر في ذهن شخص ما يجلس الآن على ربوة، ويضحك منا ،انه يقودنا عبر صور متعددة تشكل شيئا فشيئا

على الأرض، انه يقوم بعمل ما عبر تنضيد دقيق للتفاصيل، للرموز ،للإشارات ليشغلنا بشيء غير مهم00"14(بدر، 2011، 97)فهو يمارس عليهم ألعاباً نفسيةً إذ لا يظهر أمامهم إنما يتحول إلى قوة أكبر منهم تتغلب عليهم بل تتسلى بهم، والتسلية دليل تمكن في أشكال القتال في الصحراء ، فهو لا يواجههم بصورة تقليدية بل يجيد التفنن في فرض سلطته ،ومن ذلك انه رسم على الأرض رمزا حاولوا جاهدين لتفسيره إلا إنهم لم يجدوا له معنى 15(ينظر:بدر ،2011، 98)، مما جعلهم في حيرة وترقب نفسي ،فيتخيل الراوي جساس وهو يراقبهم مستمتعا بمشهد حيرتهم"جساس على الصخرة العالية يلوح ،ويرقص، ويغير من تعبيرات وجهه بصوره ساخرة، ونحن ننساق على الطريق الذي يريدنا أن ننحدر فيه ،وهو يترقبنا، كلما نسير عند منعطف رملي صغير أو عند سن صخري نرى إشارة ترعبنا مرة أخرى، كنا نسير خائفين محاولين تفسير هذه الرموز الغامضة، وفنان الرعب يقف في مكانه ومن مكانه يطلق ضحكة سخرية عالية"16 (بدر،2011 ،106)،فيعقد الجندي بذلك مقارنةً بين الأنا المتمثلة بالجيش وبين الآخر المتمثل بجساس ، فهو يسيطر عليهم بالقوة النفسية أو نفوذ ذهني، وليس بقوةٍ جسديةٍ فحسب، وكما أنه محاطٌ بالغموض والتعقيد وقادر على ترك اثر عقلي ،ونفسي ومشاعري، وليس عبر الأفعال البطولية فحسب إنما يمارس حربا قائمة على الرعب النفسي، وهذا ما يميزه ويعطيه هالة من الغموض والذكاء ،فيثبت ضعف الجيش إزاء هذا التمرد ،وبعد ذلك يفشل الفصيل ويتبدد في الصحراء ،و يتمكن جساس من القضاء على الفصيل إلا انه لم يستطيع القضاء على الراوي (الجندي) ؛لأن الأخير كان في هذا الوقت يلاحق منور الدليل بعد أن اكتشف أنه جاسوس متواطئ مع جساس ،فعندما لاحقة ولم يستطع القبض عليه عاد إلى المكان الذي ترك الفصيل فيه و وجد أن جساس قد قضى على جميع رفاقه، إن قدرة جساس على التغلب على الفصيل ترمز الى واقع سياسي متمثل بضعف النظام وتعقيد الصراع،ومما يلاحظ في رواية ملوك الرمال أن الروائي رسم أبعادا هذه الشخصية الأسطورية ذات القدرة الفائقة في الجزء الأول للرواية أما الهيأة الجسدية ،فلم يتطرق لها ،أما في الجزء الثاني من الرواية فهيأة جساس الجسدية بدت تتضح فيه فالوصف الجسدي لهذه الشخصية حاضرٌ، فعندما قرر الجندي أن يأخذ بالثأر من جساس، استعان بأحد قبائل البدو، ولم يعلم أن هذه القبيلة هي قبيلة بني جدلة أهل جساس ،والتقى هناك بفارس لم يعرفه إلا أنه يصفه بهيمنة وهيبة وملامح لا تنسى بسهولة ، فهو يبدأ بوصف الهيأة لهذه الشخصية ،ولم يدرك وقتها أنه أمام عدوه جساس ، ولم يعرف أنه في ضيافة أهل جساس وقبيلته (بني جدلة) أما هم فعرفوه ،لأنه عرفهم بنفسه وبأنه جندي الفصل، أما عن وصف الراوي لجساس أو أحد أفراد القبيلة وهو لا يعلم وقتها بأنه عدوه جساس وقتها" ذلك الشاب الذي جاء على فرسه وهبط بقوة عند الخيمة الشيخ فقد كانت له عيون من نار وأسنان بيض مثل العاج و وجه النحيف لوحته الشمس ولكنه قاس ومؤثر" 17(بدر ،2011، 174)،فملامح البطولة تظهر بوضوح عليه وقد حاول دخول الخيمة ،حيث كان الشيخ والجندي يتحدثان فيصف الجندي وجه هذا الشاب ونظراته قائلا " كان وجهه عابسا وينظر نحوي نظرات حقد غريبة" 18 (بدر ،2011، 174) ،وتدور الأحداث و يتمكن الجندي من أن يهتدي إلى اللقاء بجساس، وإلقاء القبض عليه وهو نائم ،وتمكن من التعرف عليه ،وأنه الرجل ذاته الذي كان ينظر له نظرات غريبة ومخيفة في القبيلة إلا أن الوصف السابق، والهيأة السابقة، والصورة المثالية للبطل أخذت تأخذ شكلا آخر في نظر الراوي عندما ألقى القبض على جساس ؛تلك الفكرة الأسطورية للبطولة تحولت إلى انكسار،جعله يتعجب أن يكون هذا الشخص هو من استطاع هزم الفصيل "وقد اندهشت اذ كان شابا يافعا في العشرينات من عمره ،اسمر الوجه سمرة صافية، وشعره ناعم ،منسدل على جبينه ،وله لحية صغيرة على الحنك، وشاربان أسودان ناعمان، أما عيناه فكانتا سوداوين كبيرتين، ..ولهما رموش طويلة ،وكان نحيفا جدا .قلت في نفسي: يا الهي هذا الذي هزم فصيل الصحراء "19(بدر ،2011، 174)،فهذه الهيأة أقرب للأنثوية منها للذكورية ،وهناك تناقض بين منظر جساس من قبل ومنظره الآن ،وهذا يشير إلى أن الضغط النفسي والخوف قد يجعل الإنسان يرى الأخر أو العدو بهيأة مغايرة للحقيقة ،وبذلك نقل لنا علي بدر صورة للجانب النفسي لبطل روايته والضغط النفسي الذي عانته الشخصية ـ الجندي ـ ، فقيمة العدو ليست رقما محددا بل هي متغيرة تبعا لذهن المقابل ظنوهي متأثرة بالخوف الذي يضخم هذه القيمة "إن من يتقن الحرب هو الذي يكسر مقاومة العدو دون قتال ويفتح مدن العدو دون حصارها ويطيح بدولته دون عمليات عسكرية مطولة "20(تزو،37،2015)وهذا مافعله جساس ،وقد أنكر انه يعرف غارة

الصحراء ،مما جعلهم يختبروه بالبشعة ، وهي لمس لسانه بمحماس البن حتى يعترف ،إذ صاح بجساس" ابشع ابشع "21(بدر ،2011، 235)إلا انه أنكر وثبت على رأيه ،وهذا الموقف يدل على صلابة وقوة و قدرة تكيف هذا البطل مع الألم ،فاعتقدوا انه لم يفعلها، فجساس يمتلك من الصلابة ما جعله يثبت على رأيه، ولا يغير من كلامه ولم يعترف بالرغم من الألم، وهذه صفات بطولية إلا أن الجندي لم يمتثل لقوانين الصحراء في إعلان براءة جساس؛ لأنه لم يتأثر بنتائج وتحكيم البشعة بل أخذ جساس أسيرا ،فهو متأكد بأن جساس هو المسؤول عن قتل الجنود والضباط ، وللوقوف على تحليل شخصية هذا البطل يظهر أنه لم يظهر خوفا ،وهذا يشير إلى قوة شخصيته واستقلال ،و ميل للتمرد مع نظرة وجودية فهو يتحدى ويرفض الاعتراف ،وهو جزء من التمرد وعدم الرضوخ للسلطة، يبدو أكثر تأملا، ويظهر تعلقه بالصحراء ،فهو يشعر بالانتماء ،وكأنه عند خروجه منها سيواجه الغربة ونهاية العالم بالنسبة له "رأيت جساسا وهو ينظر إلى صحراء البعيدة كأنه يراها للمرة الأخيرة، ينظر نحو الكثبان الحمر البعيدة، وشعاع الشمس المائل الذي عليها أكثر من أي وقت مضى " 22(بدر ،2011، 238) ،وبعد ذلك يأس الجندي من إيجاد حل يحدد مصير جساس والعقاب الذي يستحقه خصوصا حين التقى بأحد الفارين من الحرب في المدينة ،واكتشف من هذا اللقاء أن المعسكر الذي ينتمي إليه لم يعد موجودا بسبب معارك الحلفاء والحرس الجمهوري ،و يرى الجندي انهيار كل شيء من حوله،وجاءت اللحظة المركزية حين جرى عدد من الحوارات الوجودية بين الجندي وجساس الذي اندهش من منظر النهر عند مرورهم قربه، وبدأ بالبكاء ؛لأنه لم يسبق له أن رأى هذا السخاء في النداوة والرطوبة فشعر بالتقهقر والاندحار شعر بشيء يدهشه فتحول إلى بطل من نوع آخر، وهو بطل واقعي يعيش مشاعر الاندهاش بالطبيعة النابضة بالحياة لأول مرة في مشهد مؤثر يبين ضعف الإنسان والبكاء على الفقد والإحساس بالمرارة والخسارة والاستنزاف الروحي والجسدي فرؤية الوفرة تكسر الحاجز النفسي الذي كان يبقيه قويا للمواجهة " لم يستطع الوقوف على الأرض فجلس على الضفة ،وانتحب، اخذ يبكي وينظر الماء ويمسح عينيه بطرف شماغه،أول مرة يبكي في حياته ،هذا القاتل المحترف المغامر، قاهر الصحراء، يبكي وينتحب أمام مشهد الماء صرخت به: ما بك؟ لماذا تبكي؟

ـ كل هذا الماء لكم ؟نعم

كل هذا لكم ،ونحن نقاتل من اجل قطره واحدة

لم أرد عليه فقال: لو كان عندنا الي عندكم ما تذبحنا لم يقبل جساس أن يرفع نظره عن الماء ،كان قد مسح دموعه وصار ينظر الماء في تدفقه هو ويجلس على الأرض مندهشا من المشهد ،غير مضطرب ،ولا متلكئ لكنه كان أشبه بفاقد للوعي ثم نظر إلي نظرة غضب وقال أنا ذبحت الفصيل وذبحت الضباط الثلاثة... ولو كان في أيدي هسة سأذبحك.. شاهدت ، لانبرة اليأس في صوته فقط، إنما نظرة الحقد والتشفي أيضا لو كانت الصحراء عامرة بالماء ما قتل ،لكنها جافة وقاسية ،وها نحن نملك كل هذا الثراء، وقد منحتنا إياه الطبيعة بسخاء ،ونحن نقفز من حرب إلى حرب " 23(بدر،2011 ،240 -241)، المشهد يركز على النقد الاجتماعي ،وهو ما دفعه لتساؤل وجودي ونظرة للمغزى من الحرب كأنه يرفض ضمنا المشاركة بهذه الحرب أو حلقة العنف، و يعقد مقارنةً وهذا بعد فلسفي إذ يفكر أن أهل المدن في نعمة قلوبهم لا تدركها ،فهم في نعم كثر لكنهم يتكالبون في السيطرة والسلطة على عكس ابن البادية ،وهي فكرة وجودية تناقش مغزى القتال مع تواجد متطلبات الحياة ،وهي فكرة وقف عليها كثيرٌ من الأدباء والمفكرين ،ففرويد يرى أن الإنسان يميل للاستغلال والاعتداء ليشبع حاجاته النفسية والجسدية وأنه مدفوع بحاجته البيولوجية لإشباع حاجته من العنف وهو على النقيض من الرأي القائل بأن الإنسان طيب ومتسامح ويصبح عنيفا فقط عند الدفاع عن نفسه 24 (ينظر:كاظم، 2018، 31)،وهذا الرأي الذي تبناه جساس في إلحاحه عن أنَّ سبب عنفه السابق هو طبيعة الحياة القاسية التي أجبرته على مجاراتها كالحاجة إلى الماء وأسباب العيش الأخرى ،فيظهر الجانب العاطفي الإنساني الحساس عند جساس ،فالمدينة مليئة بالحاجات الأساسية للحياة، وهذا يزيد من إظهار ما لهذه الشخصية من بعد وجودي ورمزي، فالبطل

أظهر ضعفا غير معتاد كأنه يبكي لأول مرة ،فهو قوي متمرد يمر بلحظات عاطفية صادقة ،فيبدأ باكتشاف مشاعره الإنسانية والوعي بالمأساة ،ويتحول لشخصية تمتزج القوة والإنسانية بها لأول مرة.

إن شخصية جساس قبل تلك الأحداث شخصية غير متوقعة مليئة بالتناقضات معقدة ،تحمل ثباتا عاطفيا و مشاعريّاً لا تملأه مشاعر سلبية كالتي كانت تظهر على الجندي و الفصيل ،فهو يحمل جاذبية طبيعية ومزيجا من القوة والهدوء ،فقد واجه المصاعب الكبيرة إلا أن موقفه هذا والهدوء والقبول للواقع كلها إشارات إلى انه بطل وجودي ،وهو مدرك لزوال حريته ويواجه المصير المحتوم بتأمل وهدوء داخلي ،وصمت أما الصحراء في نظره فهي جزءٌ من تجربة وجودية،كما أن جساس يحمل التناقض بشخصيته ،فحديث الراوي عنه هو حديث عن بطل صورته مغايرة لما اعتاد أن يراه قال واصفا "انه شرس مثل ذئب ولكنه مملوء بالسعادة ،والهوى ،وجموح الطابع الحازم ،والذكاء المتوقد، ليس له موهبة خلاقة فحسب ،بل أنها حدسية على نحو عجيب وتكهنية وثاقبة مما لا ريب فيه أن هذه التجربة كانت حاسمة لتحديد فهمه للعالم المحيط بي، طوال حديثي مع جساس لم اشعر مطلقا انه يحمل شعور خيبة و غضب، كما هو عند الأبطال العسكريين حين يلاحظون بأن جرائمهم الواقعية هزيلة للغاية ،مقارنة بتلك الفكرة التي يعجزون عن بلوغها إلا بفضل القوى العظمى للتفكير .إنه لا يحلم بنصر شامل، أو بسلطة يكون أثرها فاعلا باستمرار"25(بدر،2011 ،284) ،نظرة الراوي لمفهوم البطولة تغيرت ؛لأنه التقى بشخص له طموحات وأحلام مختلفة عن طموحاته شخص جعله يتأمل حتى في مفهوم البطولة ومفاهيم أخرى كي يحلل شخصية هذا البطل ويفهمها ، بعدها يقرر الراوي أن يترك جساس أو يعيده إلى مكانه حيث البادية حين تمر شاحنة أذ فك وثاقه وصرخ به "اهرب أهرب" 26 (بدر،2011 ،249). ، فكانت هذه نهاية هذا البطل اذ" صعد شاحنة من خلفها ارتمى كما لو كان معزة أو شاة واخرج رأسه واخذ ينظر بعينيه الدامعتين المندهشتين" 27(بدر،2011 ،249).

على الرغم من قوة الجندي السابقة إلا أنه ملأته الدهشة من موقف جساس؛ لأنه يكتشف عالما جديدا وواقعا جديدا جعله يتفاعل بعفوية مع الحرية الجديدة التي اكتسبها بعد سقوط النظام،ويعد إطلاق سراح البدوي جساس ويُعد سقوط الجيش انتصارا رمزيا للحرية أو التمرد ،فهو انتصار لقيم الحرية وليس انتصارا لجساس كفرد ،وأنها إشارة رمزية إلى الاستبداد و القمع لم يعد ممكنًا بعد ذلك الوقت، وأن التغيير أو التمرد سيعود للظهور أقوى ،والقصة تعكس صراعًا مستمرًا بين النظام من جهة والتمرد أو الحرية من جهة أخرى متمثلة بشخصية جساس ،وإن استعاد جساس حريته ظاهريا فإن الصورة العميقة تؤكد أنه لم ينتصر أحد بشكل نهائي،فالجيش والنظام حُلّ ،ولا جدوى من النضال والقتال، وإن الحرب بالنسبة للجندي انتهت ،أما جساس فتلقفته العدمية ، وفي ذلك إعادة ترتيب لموازين القوى ،وبذلك تحول الجندي من منتقم ثائر للفصيل إلى منقذ يحاول إنقاذ البدوي البطل الوجودي جساس ،بعد إعادة تقيم ذاتي وتساؤل عن معنى الانتقام ،وعن دوره كجندي ،وتصرف الجندي يعكس صراعا داخليا تجاه النظام الذي انهار أو اتجاه نفسه؛ لأنه أصبح بلا دور أو اتجاه البدوي الذي قضى على الفصيل ،لكن لا معنى لمواجهته ، وقد سُحب الجندي إلى منطقة تأمل فقد جعله جساس يتأمل حتى في مفهوم البطولة عند هذا البدوي ، فيتوقف عنده متأملا" هل يريد تجسيد أسطورة في الصحراء ،هل يبحث عن بطولة يعرف بها بين البدو؟ هل يبحث عن مغامرة تجدد الجوهر السري للبطولة بسبب جرأتها ونقائها ، ولكن ما معنى البطولة هنا بين الرمال والأشجار العجفاء"28 (بدر ،2011، 111)،فجساس بأفعاله أظهر جانبا وجوديا جعل الجندي تأمل في موقفه الذي يعد جزءً من الفلسفة الوجودية إثبات الذات والانتقام في وجه التهميش ،وهو يطرح أسئلة عميقة،كذلك تظهر النظرة الوجودية في حوار بين الشخصيتين الجندي وجساس حين سأل الجندي هل أنت متدين فأجابه

"- الدين لكم ..انتم عباد الأزرق... يقصد الدينار

- وانتم ؟

لنا الله والصحراء ..

صفن قليلا ثم قال لي:

ـ الدين للمدينة.. يريدون منا أن نتوضأ وحنا بلا ماء، يردون منا أن نصوم وحنا نصوم العام كله، يردون منا الزكاة وحنا فقرا بلا اصفر ولا ازرق(يقصد الذهب والدينار)"29 (بدر،2011، 245)؛لأنه البطولة عند البدوي عفوية متعلقة بالطبيعة ،ولست متكلفة ومتصنعة ومبحوث عنها فهو موقف تمرد ضد الإخضاع الذي لا يستند إلى معطيات الواقع ،"وربما لم يكن لجساس ولا لأي واحد من بني جدلة قصة بطولة خارقة ليراه بها الآخرون، انه يتسلى وحسب، وهو يدافع عن نفسه فقط"30 (بدر ،2011 ،112)،وبذلك مثل جساس رمزا للثبات على الهوية والتقاليد،و مثل رمزية المقاومة ضد الظلم وتمرد الإنسان الفرد إزاء السلطة ،متخذا موقفا وجوديا في إثبات الذات.

ثانيا :البطل الزائف (النقيب رائد)

هو شخصية تتظاهر بالشجاعة والبطولة فهو بطل كاذب ويتمثل في رواية ملوك الرمال بشخصية النقيب رائد ،وهو قائد الفصيل المكلف بمهمة هدفها إلقاء القبض على جماعة من البدو من بني جدلة بسبب قتلهم وسلبهم لثلاثة ضباط من الاستخبارات أثناء قيامهم بجولة استفقادية استطلاعية في تل حماد من الجهة الغربية في البادية العرقية ،و تقدّم هذه الشخصية أو النقيب للقارئ على أنه بطل إلا أن هذه البطولة سرعان ما تتلاشى عندما يختبر موقفها، فهي شخصية خادعة للقارئ تعتمد الوهم ،وهو جزء من البناء السردي في هذه الرواية ،وأول ملامح البطولة نلمحها في وصف الراوي لهذا النقيب " فهو مفتول العضلات له جسم رياضي من الواضح انه سيكون قائد المهمة"31 (بدر ،2011 ،13)،وبعد ذلك يصدّر علي بدر هذه الشخصية فليجعله مؤهلا ليكون بطلا من خلال الملامح الجسدية التي تترجم بطريقة حضوره الجسدي ،والوقوف بثقة والمشي باستقامة أي من خلال لغة الجسد ،فهو شخصية ايجابية جذابة، ويظهر ذلك من خلال حركاته وتصرفاته وتظهر ملامح البطولة في ردود أفعاله، و إصداره للأوامر، وتصرفاته كصعوده بثقله للهيلكوبتر،وثقته بقراراته التي يتخذها في بادئ الأمر32 (ينظر:بدر ،2011، 31-48).

أما على صعيد الملامح النفسية السلوكية ، فهو شخصية واثقة،وتظهر تلك الثقة التامة في خطته العسكرية المعروفة مسك الأرض التي تمثل خير مثال على ثقته العالية بقدراته التي برزت ما إن استقر مع هؤلاء النفر من الجيش في بناية ،وترك الضابطُ المخبرَ فيها ريثما يذهب لتعقب هؤلاء البدو ثم الرجوع للمقر33 (بدر ،2011 ،43)، وهذه الثقة هي جزءٌ من استخفافه بالعدو ،و جزءٌ من ثقته الفائقة بنفسه وقدرات فصيله يقول الراوي :"الجيش كان يستخف بالبدو ؛لأنهم يقاتلون في مواقع متغيرة ومستقلة بلا نظرية حربية ،وهكذا كانوا يعدون البدو بلا معرفة ولا حساب ولا معدات ولا أدوات ولا تفكير ولا أي شيء يعدونه عدوا جاهلا أو قاصرا" 34 (بدر ،2011 ،43) ،وفي ذلك إشارة إلى أن الثقة قد تعدت حدودها لتتحول إلى غرور واستعراض ،يواصل علي بدر إيهام القارئ بهذا البطل الزائف، فكل حركاته وتصرفاته تشير لبطولة وثقة ،فهو يعطي أوامر الحركة حسب إشارة القمباص ، كذلك لا يعتمد النقيب على دليل الصحراء المتمثل بشخصية منور، وهو من بدو بني جابر القبيلة المعادية لبني جدلة ،كأنه يريد أن يثبت لنفسه ولجنوده بأنه قادر على التعامل مع الصحراء ، ويتابع الروائي في جعل هذه الشخصية تبدو بطولية بالرغم من أنها لا تعيش الصحراء ،ولكنها تثق بمعطياتها العسكرية، فما أن وصل إلى البناية المتوقع أن جساس يختبئ فيها، أشار إلى إن هذه البناية هي البناية المقصودة ،فقد حددها وفق الخارطة وفق المعطيات التي جاء بها من القاعدة ، أووفق الخطة التكتيكية المعتمدة في رصد جساس والقضاء عليه ،فقد تعرف النقيب على البناية ،وأكد لهم دليل الصحراء ـ منور ـ انها هي البناية التي يختبئ بها جساس فعلا؛لكن سرعان ما بدأت هذه الصورة التي رسمها علي بدر لهذا البطل الواثق بخطته بالانهيار تدريجيا حينما اكتشف أن بناية جساس هي بناية فارغة ،وأدرك خطاه في ترك المخبر في البناية التي اعتمدها الجيش كمقرٍ يعودون إليها كخطة تكتيكية في مسك الأرض ،وبعد ذلك تبدأ صورة هذا البطل بالانهيار تدريجيا بعد أن تتوالى القرارات الخاطئة ،التي يتخذها35 (ينظر:بدر ،2011، 58)،ابتداءً بقرار تغير

الطريق الذي سلكوه إلى طريق آخر لكي لا يتعرف عليهم الأعداء ،ولا يعرفوا مكانهم من آثارهم إلا إن هذه الخطوة سرعان ما أثبتت خطأها أيضا ذلك عندما أحس بانهيار ،وإنهاك قوته، وقوة جيشه ،وبذلك بدأت الصورة التي رسمها للبطل بالانهيار مع أول صراع له مع الطبيعة ،وأول صراع للبدوي مع منور الدليل الذي رافقهم من جهة أخرى، فقد أحس ابن البادية منور بضعف هذا الضابط المختبئ وراء ملامح جسدية قوية،فأخذ يلمح لهذا الضعف ، فكان منور يسخر من هذا الضابط الرياضي، ابن المدينة ،بعضلاته المفتولة وشواربه المتناسقة 36 (ينظر:بدر ،2011 ،71)، فبالرغم من أنه ذو قوة جسمانية واضحة، لكنه أقل خبرة من الناحية التكتيكية ومن البدوي منور ؛لأنه غير قادر على مجاراته في السرعة والدهاء والذكاء ،وهي أمور تعدُ أهم من القوة الجسمانية،فظهر البدوي أكثر قدرة على التعامل مع البيئة الصحراوية ،وهذا الصراع مع الضابط جعلت منور يبدو هو القائد ؛لأنه أكثر سيطرة في التعامل مع الصحراء ،فكأنه" اخذ محله تقريبا واخذ ينازعه قيادته"37(بدر ،2011 ،71)،وأصبح إيمان الجنود بمنور دليل العملية العسكرية أكثر من إيمانهم بقائدهم ؛لان كلامه قريب من الواقع فالثقة أساسية للاستقرار النفسي والانضباط وفقدانها يعني انتقال الولاء، فهم يبحثون عن الاستقرار والأمان، و فشل القائد في اتخاذ القرارات الذكية من الأمور التي تجعل جنوده يفقدون الإيمان به، أما كلام الضابط فيصفه الراوي بقوله: " فلم يكن يبعث فينا الأمل أو يشعرنا بالراحة"38 (بدر ،2011، 68)، وإن نزاع النقيب امتد للطبيعة إذ أصبحت هي الأخرى عدواً له لجهله بها ، فقد"كان النقيب يحاول أن يقهر الطبيعة بقراراته و أوامره"39 (بدر ،2011، 71)، فقد أدرك الراوي بأن هذه الحرب غير متكافئة، وإنهم لا يملكون القوة على مواجهة البدو في الصحراء، فالبدو تحتاج تكيف خاص وتعامل خاص،وكأن الهزيمة كانت واضحة تلمح في وجه الدليل ،وهو يستهزئ بالضابط الذي يأمل الفوز على بدو الصحراء ،والفوز على الطبيعة التي بدت هي الأخرى متآمرة على الجيش"كان النقيب يحاول أن يقهر الطبيعة بقراراته أو أوامره 00 وكان منور، بشكل ما ،يسخر من هذا الضابط الرياضي،ابن المدينة بعضلاته المفتولة وشواربه المنسقة وأسلحته الفتاكة ،وهو يصبح ألعوبة بيد هذه الطبيعة القاهرة التي يسخرها بني جدلة لخدمتهم "40(بدر ،2011، 78-69)،فالطبيعة تولت دور البطولة ويبدو ذلك من خلال التناقض بين أقوال الضابط كقوله :"قواتنا كافية للقضاء على هؤلاء البدو الأشرار" 41(بدر ،2011، 105)،ولكن الواقع اثبت عكس هذا ،فتنكسر البطولة وتبرز وتختفي في خضم قسوة الصحراء وعنفوانها ،وكان الضابط يحاول أن يظهر نفسه بمظهر القوة فيدرك الراوي ذلك ويصفه بأنه يريد أن يخدعهم ويموه على ضعفه الداخلي بحضوره الجسدي قائلا :"كان يحاول أن يرينا نفسه بالقوة التي جاء بها ،كان يرفع صدره إلى الأعلى وينظر بعينيه السوداويين الفاحصتين كان يريد أن يكون منضبطا بشاربيه المقصوصين شبه الأفقيين" 42 (بدر ،2011، 56) ، فهو يمارس بطولة زائفة عن طريق التظاهر بالسيطرة ، يريد أن يثبت أنه "لا يمكن للمسدس أن يخطئ في موضعه لا يمكن للألق الغاضب أن ينطفئ في عينيه، وهو قائد المهمة الصعبة لا يمكن لنبرته الواثقة الشهيرة أن تخفت أو ترتعش أبدا"43 (بدر ،2011، 78-79)، فهو يتظاهر بالقوة، وبأنه بطل يمكن الاعتماد عليه واثق بقراراته ولكن واقع الأمر اثبت عكس ذلك خصوصا في إصراره على التمسك بخطة مسك الأرض بالرغم من أنها أثبتت فشلها عمليا في صحراء تل حماد، كذلك كان يحاول التمسك بزمام القيادة ، فحين تخطوا المصاعب ووصلوا بر الأمان في طريقهم نحو المقر بفضل منور الدليل، أخذ الضابط يأمرهم بتعديل قيافتهم أو تفحص أسلحتهم أو التنفس بعمق44 (ينظر:بدر،2011، 80) ،كأنه يريد أن يثبت لنفسه ولهم بأنه قادرٌ على التمسك بالقيادة وقادرٌ عليها كان يحافظ على ثقته بنفسه أو كان يهدئ الفصيل بالكلام ،والخطب أكثر من تهدئته لهم بالأفعال إذ قال " القوى العسكرية المكلف بها أدت اليوم واجبا عظيما للبلاد وللقائد ،وانه سعيد بما فعلناه على الرغم من أننا لم نستطع من إلقاء القبض على العدو" 45(بدر ،2011، 80)، فمبالغة الضابط بالتفاخر و بالإيحاء بضعف العدو هي محاولة لرفع معنويات الجيش ،فيحاول أن يبين شجاعته مقابل عدو ضعيف لتقوية معنويات الجنود والتخفيف عنهم ،وعن طرق إنكار الواقع والاستهزاء بالعدو ، والتقليل من شأنه وهي تصرفات تعكس غرورا تعاليا ، وهذا ما جعل الضابط لا يعترف بخطأ خطته العسكرية فبعد عودتهم إلى المقر الذي انطلقوا منه في محاولة لمسك الـأرض وجدوا الجنديين قد اختطفا من قبل جساس، فقال الضابط :"هؤلاء جبناء وليسوا شجعان"46 (بدر،2011، 120)،فهو يحاول الاستمرار في محاولة التقليل منهم ،وهي حيلة

نفسية أو محاولة التعويض النفسي أو الإسقاط إذ ينسب ضعفه ومخاوفه للآخرين بدل مواجهتها عبر مجموعة من العمليات العقلة لإبعاد الأفكار والدوافع والرغبات غير المقبولة في مجال الوعي؛ لحماية الناس من القلق وزيادة احترام الذات47(ينظر:الحارثي ، 2022، 1142)،فالضابط يقول" بان القوة التي تركناها في المكان قوة يعتمد عليها، أنهم اشتبكوا مع العدو وقتلوا منهم أحدا أو صدوا هجوما عنيفا عليهم"48 (بدر، 2011، 103)،ويصف العدو بطريقة يقلل من شأنه بقوله "قوة صغيرة غير مدربة، لقد أوقعتنا بكمينين سخيفين، إنا اعترف،و لكن لن يفلتوا منا هذه المرة"49، فكان مصرا على الانتصار بالرغم من عدم وجود معطيات لهذا الانتصار،هذا يجعل الراوي يعلق على كلام الضابط "ولكن من نحن ؟هذا هو السؤال 0 لم أكن افهم كلمات الضابط بسبب أناه التي لا تكون إلا في وضعية متكلفة "50 (بدر ،2011، 105-106) فهي محاولة للدفاع عن النفس، فيقول الراوي على لسانه: "كان الضابط لا يريد أن يصدق أن الجنديان قتلا ،وان خطته في مسك الأرض فشلت "51 (بدر، 2011، 102) ،وكان يحرص على عدم إثارة الذعر والهلع والفزع في نفوس هؤلاء الجنود بالرغم من كونه يعرف تماما أن الحرب خاسرة فكان يكتب التقارير باختصار وتقشف على عكس محمود المعالج الذي يرافق الجيش؛ ليكتب التقارير الخاصة بالخسائر البشرية لكن بتعبير أكثر سوداوية52 (ينظر:بدر ،2011، 116 -117) ،كما أن تصرف الضابط يعكس عدم اعتراف بالهزيمة و يشي بشخصيته التي تتسم بالعنجهية،فهذا الضابط يحاول أن يخبئ ضعفه ،وعدم قدرته عن طريق الإنكار ،ثم تأتي الهزيمة الأخيرة عندما عرف بحقيقة الدليل منور أو تأكد منها ؛لأنه كان يشك منذ البداية بأن الدليل ـ الذي كان يرافقهم خائنٌ، وأنه كان يعطيهم معلومات مضللة إلا انه لم يأمرهم بقتله ،و لم يأمرهم حتى بتوثيقه في الخيمة ،وهو أمر غريب، مما أعطى منور فرصة يجد فيها الطريق سالكا للهروب، واتبع في هذا الهروب حدسه البدوي الفطري بانكشاف أمره فمنور " شديد الإحساس بما يحيطه؛ لذلك عرف انه قد فضح أمره ،ولابد له من الهروب حتى أن خطة الضابط الأخيرة بأن يربط الدليل منور في الخيمة وينتظر مصيره عند هجوم جماعة جساس وقد فشلت هي الأخرى،فقد نسي الضابط أن يشرحها لمن كان يقوم في المناوبة في تلك الليلة مما سهل هروب منور53 (ينظر:بدر ،2011، 130).

ومن الأمور الواضحة في رسم صورة البطل الرواية أنه على الرغم من أن الضابط قد صُدر من قبل الروائي بهيئة بطل في البادية إلا انه هُزم ؛لأنه يجرب نوعا جديدا من المواجهات لم يألفه ، هذا هو التعليل الذي علل به الراوي هزيمة النقيب،فعلى الرغم من الثقة التي يتمتع بها النقيب وجنوده والتدريب الذي تلقوه على القتال إلا أن ذلك كله تلاشى أمام سلطة البدو،وسيطرتهم على المكان مما جعلهم يواجهون صعوبة في التغلب على البدو يقول الراوي:" لم تكن الخيانة وحدها السبب لخسارته لجنوده، وخسارته لهذه المعركة ـ مع أنه لم يستسلم حتى الآن لنتائجها ... ربما كانت خسارته للمعركة بسبب طبيعة و أساليب الحرب التي يخوضها البدو ضده ،ونمط التحديات التي يطرحونها على الأرض ،والتي لم يعرف كيفية التعامل معها، أو التصرف بحنكة وعملياتية إزاءها"54 (بدر ،2011، 130)

ثالثا:البطل الراوي السارد المتأمل

يتمثل هذا البطل بشخصية الجندي أو الراوي لهذه القصة الذي يمر بتحديات نفسية،ومعاناة داخلية، ومشاعر متعددةٍ كالخوف واليأس، ومحاولة فهم الذات والآخر ،والتكيف مع معطيات الواقع ،وهو أحد الجنود التسعة في كتيبة المغاوير أو غارة الصحراء الذين جاءوا للصحراء لملاحقة مجموعة من المتمردين من البدو، وإلقاء القبض على جساس البدوي الذي قتل الضابط الثلاثة ـ وهذا الجندي أو السارد المتأمل يمر بصراعات وتحديات نفسية تفرضها عليه الحياة، ومتطلبات الحرب في الصحراء ،وتركز الرواية على صفاته النفسية ،وأفعاله، وقراراته، وطريقة كلامه، فهو لا يعرف عن الصحراء شيئاً لكنه يتعرف عليها للمرة الأولى يقول "أما أنا فلم تكن الصحراء نسبة لي سوى هذه الأفعى الصديقة التي تفر وطيور السائحة التي تتوهج في الفضاء"55 (بدر،2011، 48)، أما عن إحساسه بهذه المهمة فيقول:"كنت أسير إلى مكان مجهول، ولأجل قتل بدوي مجهول، بينما تخفق أطيار البوم الصغيرة بأجنحتها فوق التلال الذهبية"56 (بدر،2012، 47) ،كان هذا جندي متفائلا في بادي الأمر ويتوقع بان المهمةَ سريعةٌ ،وإنها

ستنتهي في يومٍ واحدٍ ،و سيعود في اليوم التالي،فأجابه أحد أفراد هذه القوة ممن له تجربة بمثل هذه العملية العسكرية00 "نقضي على البدو غدا أنت مجنون... هؤلاء أساتذة في المناورة والتجريب 00 "57 (بدر،2011 ،48)،لكنه لم يأخذ كلام هذا الزميل على محمل الجد ،ويظهر أيضا عند بعض رفاقه الذين كانوا يشاركون في هذه المهمة بتوقعات عالية فيصف ثقة أحد الزملاء"كان يتكلم عن الموت لكن موت العدو وموت الآخرين "58 (بدر،2011، 25)، هذا التفاؤل الذي سيطر على الراوي بدأ يضمحل شيئاً فشيئاً،وبدأت مشاعر أخرى تحل محله وهي مشاعر الخوف،فيصف هذه المشاعر التي سيطرت عليه عند تعقبهم لبني جدلة " ذلك أننا حين عدنا ،كنا مرعوبين تماما ،عدنا ونحن نلتفت، وأيدينا على زناد بنادقنا لا نعرف متى يباغتنا العدو بلحظة واحدة يطبق علينا مثل جناحي العقاب"59 (بدر ،2012، 59) والحقيقة أن سبب مشاعر الخوف والرغبة في التأمل بكل الأحداث المحيطة هو أن عدوهم ـ جساس ـ مارس عليهم نوعا من الحرب النفسية "الخلق المتعمد للخوف ..وهو شكل من أشكال الحرب النفسية"60 (شارف،بوجلة ،2024،349)، ومن الإرهاب النفسي أنه رسم على الأرض رمزا حاولوا تفسيره مما جعل الراوي يتأمل فيه، قال واصفا مشاعر الخوف والرعب التي عاناها:"ربما أضاف الرعب ذلك الوقت لخيالنا أشياء جديدة ،وصورا جديدة فما يمكنها أن تكون الرموز بالضبط توقفنا على شكل حلقة حولها ،مقتربين ومبتعدين منها، فلا يمكننا المساس بها أبدا، كنا خائفين لئلا تختفي لحظة من نظرنا كان علينا بالسرعة الممكنة أن نجلوها أن نقبض على رموزها أو أن نفهمها 00 لحظاتها لا ادري كيف أصبحت هذه الخطوط تشكل لي عبر النظر إلى عمودين يكونان حلقة حديد بينهما فصرخت بهم فزعا:(إنها آلة تعذيب) "61 (بدر،2011، 99)حالة الرعب سادت بين الجنود وظهرت في أحاديثهم،فقد نقل الجندي أحاديث رفاقه وتخيلاتهم عن الطريقة التي يعذب فيها البدوي الأعداء، وقال محمود:"أحيانا يصب عليه القرار ويحرقه قال جواد :إنا إذا ما ألقوا القبض عليه سأنتحر قبل الوصول"62 (بدر،2011، 107).

يركز الجندي أو الراوي على شعوره إزاء البدو الذين تحولوا عنده لمصدر رعب وفزع وسيطرت عليه فكرة طريقة انتقامهم منه قال :"خرجت مثل المجنون من المكان ،عرفت أن بني جدلة سيعودون لي،أو سيجعلونني مثل جرذ بين أقدام قط ، سيدعوني أهرب ومن ثم يتعقبونني ،سيكونون سعداء وهم يتعقبونني ويقتصون مني أليس كذلك ؟سيعلقونني في البداية، ثم سيجعلونني اركض واركض سعيدا بهروبي منهم في الصحراء المترامية ،وبعد ذلك سيراقبونني وهم يضحكون مني ،سأكون لحظتها مهروشا بين أنياب ذئب مفترس ،سيجعلونني أتوسل إليهم واطلب منهم الرحمة والعفو ،بينما سيقطعون لي عرقوب قدمي ،ويتركونني انزف حتى الموت.. "63(بدر،2011، 142)،فسيطر عليه نوعٌ من القلق هو القلق التوقعي فهو يعيش خوفا مستمرا من إيذاء متوقع لم يحدث بعد لكنه يتخيله يحدث فعلا ؛لأنه قد سمع قصص التعذيب والأخبار الصادمة فيتخيل سيناريوهات ،وهذا ما يسمى بالصدمة غير المباشرة في علم نفس الحروب أو جنود قبل الاشتباك64(ينظر:الصعقوب،زايد ،202-205).

ونجد فيما بعد التحول الكبير في الرواية فتتغير مفاتيح السيطرة والقوة ،فتتضاءل شخصية جساس البطل الوجودي على حساب البطل المتأمل الجندي الذي تصبح شخصيته أكثر قوةً ،فيواصل نقل صورة الرعب النفسي إلى أن يأخذ هذا الجندي دور البطولة في الجزء الثاني من الرواية الموسوم(جندي منتقهم ومتمردون هاربون)،فتتغير ملامحه وتبدو أكثر ثقةً، فأول عمل قام به الراوي بعد أن علم أن جميع الجنود قتلوا هو التخلص من المكان الذي قد اختاره النقيب سابقا كخطة لمسك الأرض؛ لأن هذه الخطة التي اتبعها النقيب كانت هي سبب الفشل ،فتبدأ بطولة الجندي الراوي المتأمل تبرز في أول عمل قام به بعد أن قرر الانتقام ، و هو التخلص من هذا المكان الذي ربطه بالفشل العسكري "شعرت براحة .. تخلصت من هذا المكان الذي ورطنا الضابط فيه ،حيث انه مكان معلوم وموضوع، من السهل مهاجمته، وثانيا شعرت بأني ابتعدت عن جساس وبني جدلة"65(بدر،2011، 109)أما عن ثاني عمل قام به هو التحرر بطريقة أخرى إذا حاول أن يتخلص من ملابس الجندي، ويرتدي ملابس منور وهي ملابس خبأها الأخير؛ليتنكر بها عند هروبه من الجيش وكان يشعر بعد أنه لبس ملابس البدو؛ إن شيئا في شخصيته قد تغير وجعله يستطيع أن يتعامل مع الصحراء بطريقة مغايرة "وشيئا فشيئا أخذ جسمي يرتخي،أخذت حواسي تلتهب وروحي تبرد، قلت لعله هو برد الصحراء ،لعلها هذه المشاهد الخلابة التي تحيط بي...

ربما كانت الملابس البدوية التي ارتديتها والتي أضفت عليَّ راحة كبيرة ، شعرت أن هذه الملابس المتوائمة مع مناخ وحياة الصحراء حررتني من تلك الضيقة التي كانت تمنعني من أن أكون جزءا من هذه الصحراء الكبيرة والشاسعة 00 فهذه الدشداشة مرتخية هي التي منحت جسدي حرية اكبر ليكون جزءا من هذا المشهد الذهبي المحيط بي "66 (بدر،2011، 154)،فهو يعزو قوته التي اكتسبها وإحساسه الجديد للملابس التي جعلته يتأقلم مع الجو الجديد، وهو يحمل بعدا رمزيا متمثلا بالتخلص من قيود الجيش والشعور بالحرية وبالانفصام عن النظام الصارم والخوف والقيود فشعر بالتحرر المؤقت من التوتر والمسؤوليات والانتماء للبادية ،وهي بداية رحلة اكتشاف الذات بعيد عن الزي العسكري الذي شكل عنده عائقا على التكيف مع الصحراء أما الخطة البديلة التي وضعها الجندي فكانت بأن يصل إلى هؤلاء الجماعة أو الأعداء، ومن ثم الانتقام منهم فيقول في نفسه :"بني جابر هو الهدف الآن ؛لأنه سوف يكون من السهل علي عند التفكير جديا بالانتقام من جساس وبني جدلة ، والمتورطين بمقتل رفاقي أو على الأقل الوصول إلى القاعدة التي انطلقت منها تهيئة فصل جديد للهجوم على جساس وبني جدلة والقضاء عليهم"67(بدر،2011 ،149)،ثم بدأت الخطوات العملية للانتقام إذ التحق بقافلة في الصحراء ،وكان يريد منهم أن يوصلوه إلى بني جابر إلا أنهم أخذوه معهم في قافلتهم68 (ينظر:بدر، 151،2011)، فقد حاول الجندي أن يغري سائق القافلة ببعض الدنانير ووجه البندقية صوبه حتى يخيفه من أن يحاول سلبه فقال له السائق "هذا ربك في المدينة أنتم تعبدون هذه الزرقاء نحن لنا هذا و إشارة لي بيده إلى الصحراء "69 (بدر ، 192،2011) وهذا يمثل جوهر الاختلاف بين أهل البادية وأهل المدينة، وتتوالى الإحداث حتى يصبح أكثر انسجاما مع القبيلة التي استضافته ويتعرف على رجالها وبعض نسائها، الذين كانوا يعتنون بأكله وشرابه ، ويتعرف على شيخ القبيلة الذي يصف استقباله إياه بترحيب كبير ممتزج بتوجس إذ يقول"وان كان استقبال الشيخ وديا لكني شعرت به متضايقا من كلامي، ولم أعرف السبب ،ولم أخمنه كذلك"70 (بدر،2011، 196-170)إلى أن أكتشف بأنه أساسا في قبيلة جدلة القبيلة المعادية 71 (ينظر:بدر ،169،2011 -170)، فدارت في باله أفكارٌ كثيرةٌ ،واسترجع في ذاكرته كل ما مر به من أحداث و مواقفه مع أفراد لهذه القبيلة، خصوصا موقف لقائه بشخص يتطاير الشرر من عينيه وتركه حائرا "- من يكون؟ قلت لنفسي"72 (بدر ،2011 ،170)، وبذلك يستمر في نقل الانفعال النفسي بعد أن اكتشف الحقيقة، وأنه في مواجهة القبيلة المعادية التي اعتدى أحد أفرادها علي الضباط الثلاثة ، وقام بقتلهم وسلبهم وإن صاحب الشر المتطاير من العينين هو جساس،فأصبحت هواجسه النفسية تحيط به وهو مندهش من أفراد القبيلة الذين يقولون أن الضيف يرعى حتى لو كان عدوا،إلا إن هواجسه لم تنته بل على العكس إذ يقول:"ولكن منْ يضمن أن يحافظوا على قوانين طالما خرقناها نحن معهم آلاف المرات.. هل أتصور في يوم أن جساس مثلا يتعلق بإحدى القوافل العسكرية،وهو متعب من المسير في الصحراء ،وقد وصل إلى حد الموت من العطش، وطلب منهم أن يقلوه معهم ، وهم يعرفون انه جساس من بني جدلة ،ومع ذلك يأخذونه معهم ،ويقولون له أنت ضيف ولك حق الضيافة معنا ،سنطعمك ونسقيك بعد ذلك نوصلك للمكان الذي تبتغيه00شيء مضحك بالنسبة للقيادة العسكرية لو قلت لهم أنا بين بني جدلة، لقالوا لي اقتل على قدر ما يمكنك منهم "73 (بدر ،2011، 172)ومعروف أن الأفعال الصغيرة من اللطف التي يبديها السجان تكسب في عين الأسير أهمية هائلة تثير لديه شعورا بالامتنان يفوق الوصف ، وهذا اللطف لا يخفف من وطأة الأسر بل هو في الواقع أقوى أداة للسيطرة ؛لأنها تمثل قوة ناعمة في التعامل مع الأسير،بل هم في ذلك يطبقون جوهر الإسلام الذي ينص على التلطف في معاملة الأسير ابتغاء وجه الله ويلتزمون بالقوانين الدولية لحقوق الأسرى74 (ينظر:محمد، شريف،2013، 254)،فيما يدحضها الجيش ،فهو يعقد مقارنة بين صفات البدوي وصفات العسكري في محاولة منه لفلسفة الأحداث وفهم الواقع على حقيقته .

تدور أحداث الرواية ويتمكن الراوي من إلقاء القبض على جساس بمساعدة بني جابر فيصف اللقاء "وكان ينظر نحوي بحقد وبعينين من نار، عرفني مباشره ،غير أن بني جابر كانوا ملثمين تماما ،بينما تركت يشماغي محلولا على كتفي،نظر إلينا ،وقال :من انتم" 75 (بدر،2011، 234)، فتركه اليشماغ محلولا دليلٌ أنه يتصرف بقوة وعدم خوف ،بل هو يريد أن يتعرف عليه،ومن ثم أخذه أسيرا ،ودارت

بينهما حوارات أثناء الأسر ،وأدرك الجندي أن الحرب قد قامت ،ولا جيش بعد الآن فاحتار في أمر هذا البدوي وعقابه ،فيصف المشاعر المختلطة إلى أن يصل إلى نتيجة إذ قرر أن يطلق سراحه " ما عاد المعسكر موجودا، ولا القاعدة هدمتها طائرات التحالف 00 هذه مدننا قد هدمتها الحروب وهي مغشاة بالحزن والسواد، ومغطاة بالبارود والأنقاض و السخام والطين والدخان 00 كنت أسير في الشوارع تائها حائرا لم يعد هناك من شيء في المدن غير تعفن الحرب ؛والجثث المرمية في قارعة الطريق، وفي العمق صعب علي التوغل، وذلك أن الحرب الأهلية في طريقها نحو الاندلاع ..0"76 (بدر، 2011، 243)شعرالجندي بالارتباك ،وقف متأملا لا يفعل شيئا ،يشعر بالضياع إن انهزامه هو نتيجة هزيمة عامة أكبر وأشمل ،وكل مغامراته السابقة باءت بالفشل وعند تتبع شخصية هذا البطل نجده ضائعا متخبطا كجندي في فصيل ، وتحوّل إلى قائدٍ ومن ثم عاد إلى الضياع مرة أخرى ،وسبب ضياعه وانهزامه النهائي هو فشل أكبر ، فهو بتصرفه السابق يعترف بالهزيمة ، كذلك توحي تصرفاته التالية إذ أوقف سائق شاحنه في الصحراء سألته إلى أين ذاهب فأجابه انه ذاهب إلى طرف صحراء السماوة فقال :"خذ هذا البدوي معك وارمه هناك ...لم يصدق جساس أذنه كنت فككت وثاقه وصرخت به :اهرب اهرب "77 (بدر،2012، 249 -250)

إن رحلته البطولية بالانتقام تنتهي حين يتقابل مع هذا الواقع، و أهم ما يلاحظ على هذا البطل أنه غاب عنه الوصف الشكلي على عكس باقي الأبطال ؛لعل ذلك عائدٌ لرغبة الراوي في التركز عليه باعتباره فكرةً أو رمزاً أكثر من كونه شخصا ذا ملامح محددة ،و بعد عرض الأبطال الثلاثة وهم:(الوجودي جساس،الراوي المتأمل الجندي ،البطل الزائف النقيب)نلاحظ أن البطولة لم تتجسد بشخصية واحدة بل تتوزع ، بينهم بالتساوي تقريبا، وهذا يؤكد الإنسان في خضم القوى العظمى ينتهي نهايةً واحدةً ؛لأنهم كانوا يمرون بتحولات أكبر من الصراع في الصحراء (الحرب، الحلفاء، سقوط الجيش)، والمتأمل في البطل البشري متمثلا بالجندي والنقيب وجساس يلاحظ انه مرَّ بتحولات وإن أحرز البطولة في في مواقف إلا أنه ابتعد عنها في أخرى مما يثبت أن الأفراد في الصراعات العظمى هم لاعبون ثانويون أو ضحايا لتغيرات أكبر ،إضافة إلى كون هؤلاء الأبطال هم أبطال ثانويّون على الرغم من أن كل واحد منهم قد تولى البطولة مؤقتاً.

رابعا:البطل الرمزي (الصحراء ـ والبدو)

تتجسد قيم البطولة الرمزية في بعض العناصر في رواية ملوك الرمال ومثل الصحراء كقوة فاعلة ومؤثرة غير حيادية ،ورواية ملوك الرمال تعد مثلا على تشييء البطل ،وهو أن ينسب دور البطولة لشيء غير بشري وهو الصحراء في هذه الرواية،وينزعه من الإنسان أو البشر،وهذا أمرٌ شائعٌ في الرواية العربية الحديثة78 (ينظر:كامل ،شعلان ، 2017، 80)،والصحراء تمثل البطل المحتضن للأحداث والشخصيات فهي مسرح للأحداث بأكاملها وهي توزع الأدوار وفق أقدارها ووفق رؤية المؤلف لمشهد الحرب إذ يرصد الأحداث ويوثقها تاريخيا واجتماعيا ؛لتكون الصحراء شاهدا وبطلا فاعلا فيها.

تبرز الصحراء بواسطة وصف الشخصيات لها أو لسكانها من البدو ،فيصف الراوي في بداية الرواية علاقته أو نظرته للبدو من سكانها فيضيف لهم هالة من الغموض فيقول:"منذ أعوام طويلة كنت التقيت بالبدو كثيرا ، وكان عدم اكتراثهم الساحر هو الذي أبعدني عنهم.

لماذا أفك شفرات أرستقراطيّ الصحراء هؤلاء؟ " 79 (بدر ،2011، 18)

كأنها عبارة تعطي لسكانها طابعا خاصا فهم ذوو مكانة ونفوذ وثراء كأنهم أعلى من غيرهم ، "هذا الشعب الكسول الذي ينام بين أبر الشيح والقيصوم الذي لا ينبت سواه في الرمال "80 (بدر، 2011، 18) ،فهو يصف سكان الصحراء بأنهم أرسطقراطون ،وهذا يميزهم وربما يؤهلهم لحمل البطولة،لأنه يجعلهم متفردين أو مختلفين عن غيرهم

و تتضح بطولة الصحراء في نظرة الراوي للصحراء فكانت في بادئ الرواية نظرة سطحية والدور البطولي الذي أسنده للصحراء لم يكن متجليا في روايته منذ البداية فقد أشار البحث بأن البطولة في هذه الرواية ليست منفردة وعلى الرغم من ذلك فقد كان هناك إشارات تلمح لبطولة الصحراء إذ يقول الراوي واصفا مشهد ترقب وجذب يكتنفهم موضحا أن هذا الغموض الذي تتمتع به الصحراء شكل نواة الرعب لديهم إذ بدأت الصحراء تأخذ دور البطولة في الرواية تدريجيا "أما أنا، فلم تكن الصحراء نسبه لي سوى هذه الأفعى الصديقة التي تفرُّ، والطيور السائحة التي تتوهج في الفضاء "81 (بدر ، 2011، 18) بدأت هذه النظرة تتغير مع حالة الغموض التي تحيط بالصحراء"كان علينا أن نظل بلا حراك مدة ساعات، ولساعات علينا أن نظل جامدين؛ على العيون أن تبقى مفتوحة على اتساعها ناظرة من بين الجدران شبه المهدمة إلى التلال الرملية التي يضيئها القمر ،علينا ألاّ ننامَ نومةً كاملةً، ونحن في هذه الصحراء التي أشاحت عنها الآلهة وتركتها للبشر"82 (بدر ، 2011،18)، فهو يجعل من الصحراء عدوا آخراً يحمل الرعب ومشاعر القلق وصعوبة التكيف معها ثم يقارن بين فكرة البطولة في المدينة وفكرة البطولة في الصحراء،ويدرك البطل المتأمل أو الراوي أخيرا أن الكل في هذه الصحراء يبحث عن البطولة أما هي ـ الصحراء ـ ليست بحاجة إلى هذه البطولة :"ما معنى البطولة هنا بين الرمال ، والصخور والأشجار العجفاء ؟نحن نبحث في المدينة عن رموز ،وعن كثير من الأيقونات ،عن إبطال ،عن الكثير من الآمال المبعثرة والتي نتشبث بها بقوة، تحتاج المدينة إلى رموز لتجسيدها إلى قادة إلى عظماء ،ولكن هل تحتاج الصحراء ،وهي بتقشفها وتجردها ،إلى كل هذه المغامرات"83 (بدر ، 2011،111)فهو يجد أن الصحراء لا تحتاج لبطولة كأنه يضعها في مقابل الإنسان الذي يبحث عن بطولات ولا يجدها بينما هي بقوانينها باقية لا تحتاج ما يثبت بقائها وقوتها ،والبطولة في الصحراء عفوية غير متصنعة بل أنها محاطة بروحانية عالية فيقول: "الصحراء لا تحتاج إلا إلى مخربين سعداء فالرمال والماء والفضاء تصنع وحدها نوعًا من التوتر الحميم والبشوش، هدفها الوحيد هو روحانية لا تنقطع أبدا ،تصنع نوعا من الرغبة المستديمة بالبقاء فقط بعيد عن المنافسة المزعجة في المدينة التي تخلق من البطولة ضجيجها وصخبها "84 (بدر ، 2011، 112)، فهو يجد أن المدينة تنمي الرغبة بالتميز وروح المنافسة أما الصحراء فهي تتولى البطولة بنفسها،وتسحبه من البشر ،فالراوي يريد أن يقول إن ابن المدينة يبحث عن بطولات مؤقتة تميزه ،فيقارن بين الصحراء وبين المدينة في نظرته لما يجري من أحداث "أما في هذا الطرف القصي من الهاوية والتي كنا جميعا فوقها ،نشهد من الحوادث ما سيدوم بالنسبة لنا ؛لأننا من المدينة ،ولكنه سيتلاشى بالنسبة لهم لأنهم من الصحراء، فستكون هذه اللحظات أكثر الساعات رسوخا في ذاكرتنا، بينما هم لا تساورهم هذه الأفكار مطلقا "85 (بدر ، 2011، 112) وربما ذلك عائدٌ؛لأنهم اعتادوا على الحياة القاسية وهم مؤهلون لخوض الصعوبات . وهذا ما يتضح في ارتباط بدوي الصحراء الدليل منور بالبيئة والطبيعة التي منحته قوة تكتيكية وهبته الذكاء والدهاء "لقد عرفت لحظتها أن هذا البدوي الماكر قد شعر بالخطر ،وهو يداهمه بحدسه وفطرته، فقد درب، وهو ابن الصحراء ،كل حواسه على استشعار الخطر من بعيد، فركضت وراءه بكل ما أوتيت من قوة ،كنت أغوص بها غوصا، وليس مثله ،حيث لم تكن قدماه تلامسانها إلا بخفة ،إنهما تطيران عليها ،إنهما تمسانها مسًّا رفيقا ، وتتجاوزانها ،هو لا يضع قدميه مثلي ليتمسك بالأرض كما نفعل نحن على الدوام، انه يستخدم الأرض فقط ليقفزها، ومع ذلك كنت أحمل ساقيَّ من الرمل وادفع نفسي للأمام مصمما على النيل منه"86 (بدر، 2011، 138)،هذا الاختلاف بين أصحاب البادية أو أهل القفار عن غيرهم قد أثبته ابن خلدون في كتابه العبر إذ وجد أنهم " أحسن حالا في جسومهم وأخلاقهم،...فألوانهم أصفى وأبدانهم أنقى ،وأشكالهم أتم وأحسن ،وأخلاقهم أبعد عن الانحراف وأذهانهم اثقب في المعارف والادراكات"87 (ابن خلدون،د.ت ،10- 11)، هذا الاختلاف انعكس حتى على نظرتهم للأمور كالاختلاف بين دوافع البطولة عند البدوي، فهو يحمل صفات البطولة لا شيء يستطيع أن يعريه أو أن يسلبه مبدأ ؛لأن البدوي حر وليس عبداً للمال فعندما حاول الجندي أن يغري سائق القافلة بالأموال أجابه وقائلا :"- هذا ربك ..في المدينة انتم تعبدون هذه الزرقاء.. نحن لنا هذه.. وأشار بيده إلى الصحراء "88 (بدر ، 2011،153)،ويربط الراوي بن ملابس البدو والراحة في الصحراء فما إن لبس ملابس البدو حتى أحس أنها غيرت شخصيته ،وجعلته يتعامل بحرية أكثر وراحة مع أجواء الصحراء يقول :"لقد شعرت إن هذه الملابس المتوائمة مع مناخ وحياة الصحراء حررتني من تلك الضيقة

التي كانت تمنعني من أن أكون جزءا من هذه الصحراء الكبيرة والشاسعة "89(بدر ، 155،2011)، فالصحراء هي المحرك وهي تفرض على من حولها التأقلم معها فملابس البدو جعلته يشعر بإحساس جديد ومن ذلك يبدو أن الصحراء اتخذت موقف البطولة ؛لأنها هي من فرضت عليه شرط الاندماج والانتماء ؛ لتؤهله للقوة والتكيف،وفي موضع آخر يقول واصفا التحرر الذي أحسه"فهذه الدشداشة المرتخية هي التي منحت جسدي حرية اكبر ليكون جزءا من هذا المشهد الذهبي المحيط بي "90 (بدر ، 155،2011)في النص تلميح لفكرة التحرر والبطولة المرتبطة بالصحراء ؛لأنها تمثل الثبات والتحمل ؛ولأنها تهب القوة والمقاومة ،والتكيف معها و يهب إحساس بالانتصار والصمود والتغلب على المصاعب بل أن لها قدرة هائلة؛لأنها تمثل تمظهر من تمظهرات القدرة الإلهية الخارقة،بل أنه يجد الله أقرب إلى أهل الصحراء فقول :" لقد عرفت للمرة الأولى أن الله ليس بعيدا عني هنا، كما كنت اشعر به بعيدا عني تماما في المدينة ،فالدين لا يشكل شيئا في الصحراء؛ لان سكان الصحراء يحيون في روح الله ذاتها ،وانه منهم على بعد لحظات ،انه فيهم ،والله كائن في كل ذرة من ذرات الكون "91 (بدر ، 155،2011)،فالصحراء انتزعت البطولة؛ لأنها تمتلك قوة بطولية خارقة فهي مزودة بتأييد إلهي؛ولأنها المسيطرة وهي رمزٌ للحرية المطلقة والتحرر من القيود بل هي الشيء الذي بلا نهاية ولا أطراف فهي شيء مسيطر يدور الجميع في فلكه،فالراوي يعطي الصحراء صفات خارقة، فهي جزء من روح الله أما البدو فهم قريبون من الله كأن الصحراء تملك وسكاها قداسة خاصة وقدرة خارقة ،فيقول:" لم يعد الله في الصحراء غريبا و متعاليا عليهم بل هو منهم وفيهم، هو البدوي الأكبر والذي يسوح في كونه الذي خلقه يمينا وشمالا ،شرقا وغربا ،شمالا وجنوبا "92 (بدر ، 156،2011)

ويقف الراوي على الاختلافات بين المدينة والبادية ويبحث عن تسميات مثل التي يجدها في المدن " أنهم يدورون على أنفسهم ،من "هناك" إلي الـ" هناك "،كان الغرب من أول من اخترع كلمة (laillleur)هو من اختراع البدو، وأن الشيء الذي بلا تخوم هو الصحرا"93 (بدر ، 156،2011)، وهذا من أهم وجوه الشبه بين البطولة والصحراء ومن أهم الصور الرمزية للبطولة ،فالبطل لا تحده حدود وهو يكسر المألوف يعيش حرية وانفتاح، وكذلك الصحراء لا تتقيد بقيود .

أن الصحراء وهبت سكانها ثقة عالية فالراوي يتحدث مع شيخ بني جدلة ،وهو لا يعرف وقتها انه بضيافتهم ،فقد تصور أنه بضيافة قبيلة أخرى،وأخبر الشيخ بأنه سيطلع القيادة في المدينة عن تعاون هذه القبيلة معهم ،فيرد عليه هذا الشيخ ردا صادما يعكس ايمانا ببطولة الصحراء المطلقة " التفت إلي مبتسما وقال:- والله احنا هناك في الصحراء عايشين.. سلم لنا على عسكرك ..ونحن لا نطلب شيء منهم.. حنا عايشين هنا قبل أن يكون لكم عسكر"94 (بدر ،2011، 167) ،وهنا إعلان تمرد وقوة وبطولة عن طرق المقارنة بين أهل المدينة ـ النظام ،وأهل البادية التمرد أو اللاّنظام فالبدوي مؤمن بسلطة الصحراء المطلقة وبأنه لا منافس لها فرمزيتها مطلقة ،وهذا ما جعل جساس يتوقف أمام أخلاق البدوي متسائلا عن أخلاقيات الحرب التي يحافظون عليها "هل يجدر بهم أن يحافظوا على قوانين الصحراء وأنظمتها ونحن نخرقها كل مرة هل يجدر بهم أن يفعلوا ذلك بينما نحن نستخدم كل قوتنا ضدهم سيقول بعض العقلاء منهم ما الحكمة من بقائها و نحن نحافظ عليها والآخرين يخرقونها ،وهكذا ربما سيناقشون في مجلسهم هذا الأمر وتتراجع كفة خرقها ؛لأنهم سيعيدون قوانين أخرى كان قد سنها أجدادهم البابليون من قبل قانون التعامل بالمثل، أو قانون حمورابي العين بالعين والسن بالسن وهكذا سيجتمعون ليلا في خيمة يحمل كل واحد منهم سكينا طويلا وبطعنة رجل واحد سيقضون علي ويتخلصون من هذا الشر الذي جاءهم في عقر دارهم "95 (بدر ، 172،2011)،فالبدو في النص بطل أخلاقي؛ لأنه يلتزم بقوانين احترام الإنسان وهي قوانين بطولية أشاد بها الإسلام ،فمعرف أن الحرب تنزع عن الإنسان إنسانيته لكن البدوي يحافظ على قوانين ثابتة ؛لأنه يلتزم بقوانين احترام الإنسان وهي قوانين بطولية أشاد بها الإسلام، وان لم ينتصر عسكريا،لكن الراوي في النص يناقش هل ممكن أن يخرقون هذه القوانين أم سيحافظون على أخلاقيات البطولة البدوية،فهو ينظر إليهم كبطل أخلاقي محافظ وخلوق كما أنه يقر ببطولة الصحراء فيقول"هذه الصحراء لا تاريخ لها كما هو تاريخ المدن خلف المرتفعات"96 (بدر ، 196،2011)، فهناك انتصار في الرواية ، لكنه انتصار الصحراء وهو عام مطلق ،فعلى الرغم من عدم انتصار شخص بشري لا جساس

ولا الفصيل إلا إن الأحداث لم تستطع أن تنتصر على الصحراء وتخضعها ،وعندما عاش البدوي الحياة في الصحراء أصبح أكثر انبهارا وتأملا وافتتانا،بسبب العزلة ،فالصحراء في الرواية ليست متلقةً فقط بل هي عامل مؤثر، والجندي مثل باقي الشخصيات فيها يحس بأنه إنسان عابر .
ويقف الراوي على وصف العزلة التي تفرضها الصحراء على سكانها فهي التي منحتها التمرد وأكسبتها البطولة ،فيقول الجندي"كنت اعرف أن الحرب مستمرة، اعرف أنها ناشبة ولم تتوقف بعد، كنت امضي الوقت في الخيمة ،لا شيء افعله هنا ،كنت أعيش ما يمكن أن نطلق عليه (فجر الشعوب)هذا العنوان الذي تذكرته من غروسجون هو الذي أنعش تأملاتي ذلك الوقت، فأخذت أعيش سعادتي البرية على نصوص الحضارات التي لم تكتب بعد، أعيش نوعا من العزلة التي كانت قد فرضتها بعض القبائل على نفسها ،هكذا كان شعوري ذلك الوقت"97 (بدر، 2011 ،56).

فهذه العزلة هي التي جعلت الصحراء متفردة غير خاضعة ،تكسب مجدها بالرغم من كل المحيطة ،فهي لم تتأثر بالحرب بل رسمت عالما خاصا ،فالصحراء ترمز للحرية المطلقة بلا قيود المجتمع وقوانينه وترمز للتمرد ،كذلك رمزت للتأمل وللصراعات التي لا تنتهي،ولا تتأثر بالصراعات فهي الوحيدة التي استطاعت أن تتغلب على الحرب فالجيش النظامي محدود أمام قسوة الصحراء وخشونة الطبيعة وصلابتها.

إن الطبيعة مصدر قوة وبطولة استشعره الجندي،و وجد أن لا طريقة لديه للتغلب عليها أو النجاة بنفسه إلا أن يتشبه بسكانها و بطريقتهم وحياتهم "ماذا افعل وحدي هنا في هذه الصحراء؟ قلت لنفسي وكأني اهذي... لقد دفعت نفسي بقوة نحو الهضبة العالية ،قلت لن اترك بني جدلة يتعقبونني في مكان، لن يكون لي مكان يأتون إلي فيه ،سأهرب،سأنفي نفسي في الصحراء ،سأجعل من نفسي بدويا متشردا، لن يتمكنوا مني ...،هكذا سأكون مثلهم ،مثل الإبرة في الرمال .. سأطير مثلهم ولن أضع قدميّ على أرض"98 (بدر، 142، 2011) ،وبذلك اعتقد أن الشبه بهم سيجعله أسطوريا، فهو يعتقد أن ملبسه وتصرفاته وكفيلة أن تحوله إلى شخص ينتمي للصحراء لكنه يقف عند ردة فعل هؤلاء البدو أو سكان الصحراء إزاء الحروب ،فهي مثيرة لاستغراب الجندي،وتحتاج لتأمل في نفسياتهم و دواخلهم فعندما حدثهم عن حرب العراق ضد الحلفاء ، وانه جندي في الجبهة ،وقد قدم للبادية في فصيل من الأبطال اسمه غارة الصحراء لم يتفاعلوا معه، لأنهم يعشون في عالمٍ موازي لعالمه لهم تاريخهم الخاص واهتماماتهم الخاصة فهم لا يعترفون إلا بحروب الصحراء

"- يلتفتون لبعضهم ويضحكون..
- ماذا بكم ..تضحكون ..ألا تهمكم الحرب ؟
بلى تهمنا.. تهمنا الحرب بين بني جدلة وبني جابر، بين ال سدخان وال طعمة ..الحروب.. كل الصحراء حروب.
- لا أتحدث عن هذه الحروب.. أنا أتحدث عن حرب الوطن ..أتحدث عن هذه الحروب الكونية الكبرى التي تشترك بها أكثر من ثلاثين دولة ..كنا ننتظر هذه الحروب والآن قد اندلعت،يضحكون أيضا، إنها لا تهمهم؟ لا يهمهم هذا التاريخ البعيد عنهم ،فهم لهم تاريخهم الخاص بهم ،أما التاريخ البعيد عنهم ،أما التاريخ الآخر فهو تاريخ الآخر، وهذا ما جعلني أعيش في منظومة أخرى من التاريخ ،في عالم آخر، وكنت أجذب نفسي لأكون بينهم، أما هم.. فهم لا يعنيهم هذا الأمر على الإطلاق" 99 (بدر ، 2011،193)،فلم تجرهم الحرب للتنافس إنما خلقت الصحراء لهم عالما خاصا مجسدا البطولة الرمزية بعيدا عن الحروب والأوضاع العامة للبلد

إن هذا الرواية تشتت البطولة على أكثر من شخصية لتعيد الصياغة لمفهم البطولة وهي كسر لفكرة البطل المطلق أو الفرد في الرواية ،وتعطي صورة للبطولة المعاصرة عن طريق وتوضيح القيم التي تحملها الشخصيات وتشتت صورة البطولة.

الخاتمة:

أولا : تضمحل صورة البطل الكلاسيكية في هذه الرواية ، فالصورة التقليدية المعروفة للبطل هي صورة البطل الذي يحمل صفات أخلاقية واضحة ومعروفة كالشجاعة والحسم وغيرها لا تظهر في هذه الرواية بشكل واضح.

ثانيا: العامل السياسي والواقع المتشظي هو سبب رئيسيٌ في تشظي البطولة ،فالحضارة تصارع البداوة وتحاول النيل منها ، وهذا يجعل فكرة البطولة المطلقة تتلاشى؛ لتحل محلها صورة لأبطال متعددين من ضمنها فكرة تشييء البطل.

ثالثا: تتوزع البطولة بين عده شخصيات أولها الجندي الذي يمثل الصوت الواحد في الرواية، والذي يعاني من الشك بالذات والآخر ،أما البطل الثاني في الرواية فهو جساس البطل الضد؛ لأنه يمثل ثقافة البادية الخارجة عن قوانين الدولة فضلا عن التشظي يتضح بغياب الخاتمة البطولية فيعم التيه والضياع والشك، فالواقع لا يسمح ببطولة الأبطال المطلقة بل أن الصحراء وهي المكان الذي تدور به الأحداث يتحول هو الآخر إلى رمز للبطولة؛ لأنه يختبر الجميع ،وبذلك تتنوع البطولة بين الشخصيات والمكان المتمثل بالصحراء التي تفرض على الآخرين منطقها الخاص،وقوانينها الخاصة .

المصادر والمراجع

١. ابن خلدون ، عبد الرحمن 732هـ -898 ،وضع الحواشي خليل شحادة ،العبر وديوان المبتدأ والخبر ف تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ،دار الفكر ،بيروت ،ط1، 1981م
٢. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (711) ، لسان العرب الحواشي لليازجي ،دار صادر ،بيروت،ط3، 1444هـ
٣. احمد، إسماعيل محمود محمد شخصيه البطل في رواية البيضاء ليوسف إدريس، مجلة كليه اللغة العربية ،مج 36 ، ع 4 ، نوفمبر ،2023م.
٤. انطونيوس ،فريد ،ميشيل بوتور بحوت في الرواية الجديدة، ، منشورات عويدات ،بيروت - باريس طبعه ثالثة، 1986 م.
٥. بدر، علي ملوك الرمال ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،ط3، 2011م.
٦. تزو ،سون،فن الحرب، ترجمة د.رؤوف عباس، دار الساقي ،بيروت،لبنان ، ط6،د.ت
٧. الحارثي ،إسراء عطية درجة استخدام ميكانزمات الدفاع النفسية وعلاقتها بالتحصيل الأكاديمي لدى طالبات الجامعة في التعليم عن بعد خلال جائحة كورونا ، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية /مجلد 11/ع5/ تشرين الأول، 2022
٨. شارف ،مريم- بوجلة، عبد المجد الحرب النفسية دراسة في المفهوم والوسائل ،مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية ،الجزائر/مجلد 10، ع2 /2024م
٩. الشبيبي، جهاد، لماذا الحرب المناظرة بين فرويد و انشتاين ،منشزرات تكوين ،ط1 ،2018م.
١٠. الصعقوب ،لمياء بنت ابراهيم- زايد ،سهام ،علم النفس العسكري اضطراب كرب ما بعد الصدمة عند البالغين / ،الرياض، ،ط1، 2022
١١. علوش، سعيد معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ،دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ط1، 1985 .
١٢. فضل، صلاح منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف،القاهرة، طبعة 5 ، 1995
١٣. كاظم ،.نادر،لماذا الحرب المناظرة بين فرويد وانشتاين ، ترجمة جهاد الشبيني ، ط1، تكوين . 2018

١٤. كامل، سناء،د.شعلان ،أحمد ، تشييء البطل في الرواية العربية المعاصرة روايات (العين المعتمة) و(معذبتي)و(حارس المدينة الضائعة) و(الشقة)و(خوارم العشق السّبعة)/ مجلة دراسات لجامعة عمار ثليجي الاغواط ، الجزائر، ع 54 ،ماي 2017.
١٥. الماضي،شكري عبد العزيز أنماط الرواية العربية الجديدة، ،سلسة عالم المعرفة ،ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت ، 2008 م.
١٦. محمد.ورنيقي ،د شريف.ورنيقي، أسرى الحرب في القانون الدولي والإنساني والشريعة الإسلامية ،مجلة الدراسات الإسلامية ، ع2، 2013م.
١٧. مقيديش ،سعيد، تطور مفهوم صورة البطل في الرواية العربية ألحديثة دراسة تطبيقيه ، مقامات للدراسات اللسانية والأدبية والنقدية، 2017 م.

١٨. وهبة، مجدي ـ المهندس كامل معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ،مكتبه لبنان، بيروت ،طبعه 2،1984 م.

Sources and References

1. Ibn Khaldun, Abd al-Rahman (732 AH - 898 CE), annotations by Khalil Shahada, Al-Ibar wa Diwan al-Mubtada' wa al-Khabar fi Tarikh al-Arab wa al-Barbar wa man Asarahum min Dhawi al-Sha'n al-Akbar (The Lessons and Collection of Beginnings and Endings in the History of the Arabs and Berbers and Their Contemporaries of Greater Significance), Dar al-Fikr, Beirut, 1st edition, 1981 CE.

2. Ibn Manzur, Abu al-Fadl Muhammad ibn Mukarram ibn Ali (711 AH), Lisan al-Arab, annotations by al-Yaziji, Dar Sader, Beirut, 3rd edition, 1444 AH.

3. Ahmad, Ismail Mahmoud Muhammad, The Heroic Character in Yusuf Idris's Novel Al-Bayda, Journal of the Faculty of Arabic Language, Vol. 36, No. 4, November 2023 CE.

4. Antonius, Farid, and Michel Butor, Research in the New Novel, Oueidat Publications, Beirut-Paris, 3rd edition, 1986 CE.

5. Badr, Ali, Maluk al-Rimal (Kings of the Sands), Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 3rd edition, 2011 CE. 6. Sun Tzu, The Art of War, translated by Dr. Raouf Abbas, Dar Al-Saqi, Beirut, Lebanon, 6th edition, n.d.

7. Israa Attia Al-Harthi, The Degree of Use of Psychological Defense Mechanisms and Their Relationship to Academic Achievement Among University Students in Distance Education During the Coronavirus Pandemic, International Journal of Educational and Psychological Studies, Vol. 11, No. 5, October 2022.

8. Maryam Sharif and Abdelmajid Boujla, Psychological Warfare: A Study of Concept and Methods, Al-Sawra Journal of Human and Social Studies, Algeria, Vol. 10, No. 2, 2024.

9. Jihad Al-Shabibi, Why War? The Debate Between Freud and Einstein, Takween Publications, 1st edition, 2018. 10. Al-Saqoub, Lamia bint Ibrahim - Zayed, Siham, Military Psychology: Post-Traumatic Stress Disorder in Adults, Riyadh, 1st ed., 2022.

11. Alloush, Saeed, Dictionary of Contemporary Literary Terms, Lebanese Book House, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1985.

12. Fadl, Salah, The Realist Approach in Literary Creativity, Dar Al-Maaref, Cairo, 5th ed., 1995.

13. Kazem, Nader, Why War? The Debate Between Freud and Einstein, translated by Jihad Al-Shabini, 1st ed., Takween. 2018

14. Kamel, Sanaa, and Dr. Shaalan, Ahmed, "The Objectification of the Hero in Contemporary Arabic Novels: The Dark Eye, My Tormentor, The Guardian of the Lost City, The Apartment, and The Seven Love-Breakers," *Dirasat* Journal, Amar Telidji University, Laghouat, Algeria, No. 54, May 2017.

15. Al-Madi, Shukri Abdel Aziz, "Patterns of the New Arabic Novel," *Alam Al-Ma'rifah* Series, 1st ed., National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 2008.

16. Muhammad Warniqi and Dr. Sharif Warniqi, "Prisoners of War in International Humanitarian Law and Islamic Law," *Journal of Islamic Studies*, No. 2, 2013.

17. Muqaydish, Saeed, "The Evolution of the Concept of the Heroic Image in the Modern Arabic Novel: An Applied Study," *Maqamat for Linguistic, Literary, and Critical Studies*, 2017. 18. Wahba, Magdi - The Complete Engineer Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature, Library of Lebanon, Beirut, 2nd edition, 1984 AD.